

انعكاسات شبكات التواصل الاجتماعي على منظومة القيم الأسرية The repercussions of social networks on the family value system

نورالدين بوالشرش

أستاذ محاضر (أ)

قسم علم الاجتماع – جامعة عنابة

البريد الإلكتروني: bounsl@yahoo.fr

ملخص:

إن التغيرات التي عرفت الأسرة الجزائرية شملت الخصائص والبناء والوظائف وأنماط التفكير والعلاقات الاجتماعية بين مختلف العناصر المشكلة للنسق الأسري، وبالتالي تغير النسق القيمي، حيث تعتبر القيم المحددات الهامة للسلوك الاجتماعي، فبعد التحولات التكنولوجية المتمثلة أساساً في ظهور شبكات التواصل التي كانت إحدى العوامل المسببة للتفكك الأسري وتصدع العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ما أثر سلباً على الأسرة الجزائرية. الكلمات المفتاحية: شبكات التواصل الاجتماعي، القيم، الأسرة الجزائرية.

Abstract

The changes that the Algerian family has undergone include characteristics, construction, functions, patterns of thought and social relations between the different elements of the family structure, and consequently changing the value structure. Values are the important determinants of social behavior. The Algerian family, like other families in the Arab world, Values and the standards it sets for its members, but after the technological transformations represented mainly in the emergence of social networking networks and despite their positive role in the process of communication and communication, but it has become a factor in the disintegration of the family and cracked social relationships between individuals that impact negatively on the construction and function of the Algerian family.

Keywords: social networks, values, the Algerian family.

مقدمة:

تعتبر الأسرة النظام الأهم ضمن مؤسسات التنشئة الاجتماعية، فهي أول من يتولى إعداد الفرد ليكون كائنا اجتماعيا، فمن خلالها يتم نقل القواعد ومعايير السلوك وتحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي. فمؤسسة الأسرة هي من يتحكم في نجاح عملية التنشئة الاجتماعية بما تضمنه من علاقات وتفاعل بين أفرادها.

كما تبقى الأسرة على غرار بقية البنى الاجتماعية الأخرى عرضة لعملية التغير الاجتماعي، خاصة مع التحولات الكبرى في شتى المجالات ومن بينها الجانب التكنولوجي حيث أضحت شبكات التواصل الاجتماعي إحدى الأسباب التي أدت في كثير من الأحيان إلى تغيير في منظومة القيم للأسرة الجزائرية وتغير معها نمط العلاقات الاجتماعية داخلها.

أولا: ماهية القيم

تعتبر القيم خاصية من خصائص المجتمع الإنساني، فالإنسان هو موضوع القيم، حيث تعتبر عملية اجتماعية تختص بالجنس البشري عموما وتشتق أهميتها ووظائفها من طبيعة وجوده في المجتمع، فلا وجود للمجتمع الإنساني دون قيم، فهما ظاهرتان متماسكتان أشد التماسك ويشبههما كروبير (Kroeber) بأنهما كسطحي الورقة في تلاصقها، فإذا محونا من أي مجتمع إنساني قيمه، فإننا بذلك نكون قد سلخنا عنه بشريته، وتشكل دراسة القيم أهمية خاصة، كونها تمثل الملامح الأساسية لضمير المجتمع ووجدانه، وفي تشكيل ضمائر أفراد المجتمع، وهي في هذا السياق تهدف إلى تنظيم السلوك والحفاظ على وحدة الهوية الاجتماعية وتماسكها (الزبود، 2006، ص.21)

وبشكل عام تمثل القيم إطارا مرجعيا يحكم تصرفات الفرد و الجماعة، وبالتالي فإن دورها يتمثل في تكوين شخصية الفرد ونسقه المعرفي، وتشكل الطابع القومي أو الشخصية القومية. وعلى الرغم من أهمية موضوع القيم (values) إلا أنه ظل لفترة طويلة خاضعا للتأملات الفلسفية التي أحاطته بنوع من الغيبية بعيدا عن الدراسة العلمية الواقعية، ويعزو البعض تأخر الاهتمام بدراسة القيم إلى الاعتقاد السائد لدى علماء النفس والاجتماع عموما، آنذاك أنها تقع خارج نطاق الدراسات الأمبريقية التجريبية، كما أنها لا تخضع للقياس (الزبود، 2006، ص.21).

وفي بداية الثلاثينات والأربعينيات من القرن الماضي أخذ الاهتمام بدراسة القيم ينحو إلى المزيد من الالتزام بالمنهج العلمي، ولعل الفضل في ذلك يرجع إلى اثنين من علماء النفس هما: ثurstone (thurstone)، وسبرانجر (spranger) واستمر الاهتمام بدراسة القيم تدريجيا داخل مجالات علم النفس والاجتماع عموما لعدد من الأسباب أهمها: أن النظرية الكفاء في تفسير السلوك الإنساني

والتنبؤ به يجب أن تتضمن موضوع القيم ، كذلك يمكن من خلال دراسة القيم ، وفي أي مجتمع من المجتمعات تحديد الأيديولوجية أو الفلسفة العامة لهذا المجتمع .(الزيود، 2006، ص. 21- 22) كما وردت كلمة "قيمة" value في اللاتينية وهي مأخوذة من الأصل اللاتيني valeo، واستخدمها الفرنسيون في العصر الحديث للإشارة إلى اسم النوع من الفعل "قام" أو وقف أو اعتدل أو انتصب كما استخدم الشعراء هذا المفهوم لإبراز بعض المقومات الخاصة بالشجاعة والكرم (السيد عبد القادر، 2010، ص 211).

والقيم هي الحكم الذي يصدره الشخص على شيء ما مهتديا بمجموعة من القواعد والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه والذي يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه من أنماط السلوك. وتناول "محمد الجوهري وآخرون" القيم في معجم لغة الحياة اليومية فكلمة قيم "تعني شخص ذو مكانة ويحسن تصرفاته ويعتني بهيئته وهندامه، وكلمة قيمه سمة تقال للإشارة إلى شخص ذو هيئة وهندام منسجمين وللإشارة إلى شخصية مؤثرة. (السيد عبد القادر، 2010، ص 211) ويرى «رالف لينتون" ralf linton"" أن مصطلح القيمة يتضمن عدة معاني تختلف باختلاف السياق أو المجال الذي يستخدم فيه، وإذا أغفلت الاستخدامات التقنية والفنية للمصطلح في علوم الاقتصاد والرياضيات والفن و .الخ، ستظل هناك قائمة طويلة من المعاني، وأشار "لينتون" إلى أكثر معاني القيمة شيوعا وهو أن القيمة هي أي شيء يحمل أي قيمة أو أي شيء إيجابي وطبقا لهذا فإن القيم هي أي شيء يمكن أن يؤثر على قرارات الفرد في مواقف الاختيار .(السيد عبد القادر، 2010، ص 211-212).

واعتقد "روبن ويليامز" robin williams " أن القيم تشير إلى الاهتمامات والمطالب والأهداف والحاجات وما يكرهه الناس وما يجذبهم ومختلف الأنواع الأخرى من التوجهات المختارة. وعرف "كلايد كلاكهون" clyde klachohn "" القيم بأنها تصور صريح أو ضمني خاص بفرد أو مميز لجماعة عما هو مرغوب فيه ويؤثر على الاختيار من بين البدائل المطروحة من أنماط ووسائل وغايات الفعل (السيد عبد القادر، 2010، ص 212).

ويرى «ايكه هولتكرانس" أن القيمة هي الدافع الإيديولوجي الذي يؤثر في أفكار الإنسان وأفعاله كما يرى "مالينوفسكي" أن القيمة هي "ارتباط قوى وحتمي بين الكائن الحي (الإنسان) وبعض الأهداف والمعايير والأشخاص المعنيين الذين يعتبرون وسيلة لإشباع حاجات الكائن الحي .(السيد عبد القادر، 2010، ص 212).

إن التعريفات المشار إليها اتفقت في أن القيم أفكار ، وتصورات وأحكام ودوافع ، وأنها في الغالب تعبر عن شيء إيجابي مرغوب فيه و لها دور في التأثير على قرارات واختيارات الإنسان ، وأنها معايير

وقوانين متعارف عليها اجتماعيا أي موضوعة بواسطة المجتمع ، كما تختلف من مجتمع لآخر ومن جماعة لأخرى في ذات المجتمع ، وهي بصفة عامة هي موجّهات للسلوك الإنساني ، ولم تشير أي من تعريفات القيم أن هناك قيما سلبية غير مرغوبة ، وان هناك عوامل أخرى بخلاف القيم تؤثر على اختيارات الإنسان كالظروف البيئية والسياسية والاقتصادية... الخ ، فالقيم أحد العوامل المؤثرة في اتخاذ القرارات المتعلقة بأهداف الإنسان والمجتمع عموما ، كما لم تشير التعريفات إلى أن القيم رغم قوتها الاجتماعية وكونها ملزمة بحكم العادة والعرف والتقليد لا بحكم القانون الرسمي ، كما لم تشير التعريفات إلى ما قد يطرأ على القيم من تغيير ، باعتبارها تستغرق فترة زمنية طويلة حتى تتغير باعتبارها من عناصر الثقافة المعنوية التي تتغير بمعدل أبطأ من تغيير الثقافة المادية كالتيكنولوجيا مثلا . (السيد عبد القادر، 2010 ، ص212-213)

وعليه وضع التعريف الإجرائي التالي: تعبر القيم عن مجموعة من الموجّهات والمحددات التي تحكم افراد المجتمع، وتتعلق أساسا بمجموعة من السلوكات والاعتقادات، وتحكم علاقة الإنسان بذاته وبالأخر وتنعكس في السلوك العام للمجتمع.

ثانيا: القيم في علاقتها بالأسرة

ان الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولية في انتقال القيم وإعادة إنتاجها فالنموذج الأسري التقليدي ونموذجه الممتد الذي يعمل على الحفاظ على نظام قيمه السائدة من خلال ابقائه و حفاظه على مبدأ التراتبية القائمة و مبدأ السلطة الذي يساهم بشكل كبير في تعديل و تنظيم العلاقات بين الآباء و أبنائهم ، بين الرجال و النساء و بين الإخوة الكبار و الصغار ، و هذه المصادر التي تعتبر خزان قيم الأسرة الممتدة وبحسب الدراسات تبقى سائدة حتى في الأسر النووية التي تعتبر نتاج لتحولات يمكن وصفها بالحضرارية بحيث لا يزال الدين و الأعراف و التقاليد مصادر أساسية لهذا النموذج الأسري على الرغم من التحولات التي كانت عرضة لها، وهذا يختلف عما هو سائد في المجتمعات الغربية حيث نتج عن ظهور الأسرة النووية قطيعة مع هذه المصادر التقليدية فلم يعد للدين أو التقاليد دورا هاما في التأثير على بنية ووظيفة الأسرة ، فالروابط الأسرية صارت تحكمها قيم أخرى مختلفة مصدرها الحرية، العدالة، الاستقلالية، المساواة، المبادرة الخ، وهي قيم ترمز إلى مخلفات النمو الحضاري، الثقافي، الفكري، الذي مس هذه المجتمعات والحياة الاجتماعية، والأسرية على الخصوص. (بوطوب، 2017، ص14)

هذه القيم على اختلاف مصادرها تبقى ذات وظيفة أساسية تتمثل في الحفاظ على التوازن الأسري والحرص على أن تقوم الأسرة بالدور المنوط بها دون الإخلال بما هو سائد في المجتمع ، ففي المجتمعات التقليدية وبنظام قيمه السائد تسعى القيم ليس فقط للحفاظ على البنية الأسرية

ووظائفها بل العمل على إبقاء ما هو سائد، لذلك تصعب مثل هذه القيم عملية التغير داخل الأسرة و نقصد بالتغير على المستوى السلوكي والذهني لأفرادها، لذلك غالبا ما ترتبط القيم الموجودة في الأسرة بالدين و غالبا ما يسودها الطابع القدسي ما يصعب على الأفراد مواجهتها أو انكارها ، كذلك و حتى تحافظ هذه القيم على تواجدها في الأسرة أنتجت آليات و معايير لهذا الغرض، من محرمات و ممنوعات و طابوهات ،فطاعة الوالدين أو الزوج أو الأخ الأكبر هي واجب ذو طابع ديني فإما ينتج عنه الإحسان و حسن الجزاء عند الله أو السخط و اللعنة في حال عدم الامتثال، لذلك قد ينتقل العقاب الرمزي من الوسط الأسري إلى الوسط الاجتماعي ليتحول إلى عقاب اجتماعي يصعب تفاديه، هذا ما يدفع الأفراد الى الامتثال لمثل هذه القيم. (بوطوب، 2017، ص15)

وعلى الرغم من اعتبار التحولات الاجتماعية مصدر أو عامل فعال في التأثير على القيم السائدة في المجتمع بصفة عامة و الأسرة بصفة خاصة من خلال تقهقر قيم في السلم القيمي و صعود أخرى أو ظهور قيم جديدة واختفاء أخرى، إلا أنه لا يجب إنكار دور هذه القيم السائدة في المجتمع أو الأسرة في عملية التغير الاجتماعي بحيث تتحول هذه القيم اما معيق لسير و ديناميكية عملية التغير الاجتماعي أو محفز لذلك، فتمسك الأسر في المجتمعات التقليدية بقيم تقليدية و رفضها التخلي عنها تحول مع مرور الوقت إلى عائق كبير في تغير المجتمع من خلال اختلاق آليات اجتماعية و ثقافية تهدف إلى الحفاظ على ما هو سائد عن طريق استغلال عملية التنشئة الاجتماعية أو الضبط الاجتماعي و حتى العقاب الاجتماعي، وظيفتها اختلاق الحواجز و المعوقات في وجه أي مبادرة لتغيير ما هو سائد، و محاولة المحافظة عليه، وفي وجود مظاهر التغير أنتجت صراعا بين هذه القيم التقليدية و قيم جديدة أنتجها هذا التغير أصبح يعرف بصراع الأجيال بحيث يحمل كل جيل قيما متناقضة، وعلى العكس من ذلك فقد تتحول الأسرة بما تحمله من قيم إلى محفز فعال في عملية التغير الاجتماعي، بحيث تجعل هذه الأسرة من قيمها وسيلة للوصول الى أهدافها فانتشار قيم مرتبطة بالحرية و الاستقلالية و النجاح و التدرج الاجتماعي و المساواة غالبا ما تنتشر في المجتمعات المتقدمة التي تتميز بديناميكية كبيرة بحيث لا يوجد عائق أمام طموح أفراد الأسرة، و الوصول إلى أهدافهم مرتبط فقط بالإمكانيات المتاحة لذلك، فحاليا صار الحديث عن ثنائية ما هو "ممكن /غير ممكن " بدلا من فكرة ما هو "مسموح /غير مسموح "أي كل ما هو ممكن تقنيا يبقى مسموح حاليا ، بعبارة أخرى فان الأفراد في المجتمعات التقليدية لا يزالون خاضعين لفكرة ما هو مسموح و ما هو غير مسموح بحيث أن طموح الفرد في الوصول إلى أهدافه حتى و ان كانت تلك الأهداف تخدمه، ترغمه على مراجعة شرعيته في اطار ما هو متعارف عليه في مجتمعه ،و هل هذه الطموحات و الأهداف تتعارض مع القيم و المعايير السائدة أم لا، لذلك و مع كثرة الممنوعات و الطابوهات و المحرمات في المجتمعات

التقليدية، فإن هامش حرية الأفراد في السلوك يبقى محدود و سبل الوصول إلى الأهداف يبقى هو الآخر ضيق، بحيث أن القيم السائدة هي التي تحدد طبيعة السلوك أن كان مقبولا و مسموحا به أم لا، لذلك يميل الأفراد إلى التخلي عن الكثير من طموحاتهم و سلوكياتهم ليس لأنهم يرونها غير سوية بل لأنهم يدركون عواقبها الاجتماعية. (بوطوب، 2017، ص ص 15-16)

ونظرا للتغير الاجتماعي وكثرة الضغوطات التي يتعرض لها الآباء في ظل الأعباء الاجتماعية المتزايدة فقد أثر ذلك في سيرورة العلاقة بينهم وبين أبنائهم وخلق مشكلات وحواجز بين الأبوين والأبناء، وتحولت علاقة المودة والاهتمام المتواصل إلى علاقات زمنية مؤقتة لا ترقى أن تعطى الأبناء القدر الكافي من الاهتمام والتقدير والمشاعر، مما خلق لدى الأبناء مفهوما عن الذات السلبية التي تظهر في بعض مظاهر الانحرافات السلوكية، والأنماط المتناقضة لأساليب الحياة الاجتماعية. (جرجس، 1990، ص.109)

فالملاحظ أن دور الأسرة التي تعتبر وحدة إنتاجية بيولوجية قد تراجع وخضع هو الآخر تحت طائلة العبء الاجتماعي مما جعله يهدد كيانها ويعطل دورها الطبيعي في أداء مهمتها ووظيفتها التربوية والاجتماعية وجعل الأسرة تعاني من التفكك المادي والمعنوي، حيث عانت الأسر في وقتنا الحاضر من التفكك الضمني الذي خلق فجوة بين كل من الآباء والأبناء ما جعل الأبناء يفتقدون للتحصين الذاتي للإجرام في ظل افتقارهم لأساليب التنشئة الأسرية السليمة ومعاناتهم من الحرمان العاطفي وعدم امتلاكهم لسبل التكيف الاجتماعي والكفاءة الاجتماعية.

كما ترتبط هذه العلاقة بين حجم الأسرة من جهة وبين العلاقة الزوجية من جهة أخرى فبتزايد حجم الأسرة تقل فرص التواصل بين الأطفال والآباء وبالمقابل تزايد مواقف التفاعل بين الأخوة فيما بينهم وعليه فالأخوة يعتبرون مصدرا لتعلم الاتجاهات والمعتقدات والأنماط السلوكية، فهم يعملون على ضبط سلوكياتهم داخل الأسرة ويعتبرونه كمتغير أساسي يؤثر في نمو الطفل النفسي والاجتماعي. (الكتاني، 2000، ص 51)

ونظرا للتوتر والتأزم في العلاقات الأسرية نتيجة التغيرات المجتمعية الحاصلة الذي أثرت على وجود رابط ود وتعلم وحوار هادف بين الآباء والأبناء، وغياب الحوار البناء والفعال بينهم وتوجه الأبناء إلى أخذ النصائح من مصادر خارجة عن حيز نطاق الأسرة فهم بذلك يتخذون أفكار ومبادئ خاطئة ويلقونها لإخوتهم الأصغر سنا منهم وبهذا نجد أن الثقافة السلبية والمبادئ الخاطئة تدفع بالأولاد إلى الوقوع في بؤر السلوكات السلبية كالانحراف والجريمة. (يوسف، 2006، ص 250)

ثالثا: علاقة شبكات التواصل الاجتماعي بتغير منظومة القيم في الأسرة الجزائرية

مما لا شك فيه ان العلاقات الاجتماعية قد تأثرت وبطريقة ما بالتطورات الهائلة المتتالية التي حدثت في المجتمعات في ظل الثورة التكنولوجية الحديثة، خاصة فيما يتعلق بتكنولوجيا المعلومات وتقنية الانترنت، وهو ما يبيئ الفرصة لتغيرات قد تكون جذرية في المجالين المادي والمعنوي الذي تتخذه وتتشكل في إطاره مختلف أنماط العلاقات الاجتماعية. وعليه فقد ازداد الاهتمام بدراسة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي كظاهرة مجتمعية انتشرت بين الأفراد في المجتمعات المختلفة، وربما يرجع ذلك إلى ما لهذه الظاهرة من انعكاسات متعددة نفسية واجتماعية وصحية تؤثر على المستخدمين لهذه المواقع، فمع استمرار قضاء المزيد من الوقت على الخط المباشر من الطبيعي أنهم يخصصون وقتا اقل للنشاطات الأخرى والأشخاص الآخرين في حياتهم. (العقبي، بركات 2016، صص 223-224)

بتركيز نطاق البحث والتحليل على ماهية نمط العلاقات الاجتماعية عبر مواقع التواصل الاجتماعي ، وما قد تضمنته من فرص كامنة أو في المقابل مخاطر مستترة، نجد أن ثمة نقاشات محتدمة حول الدور الخطير الذي تلعبه هذه المواقع في عزل الأفراد اجتماعيا وتفكيك العلاقات بين الأفراد في المجتمع ، فالأفراد أصبحوا يقضون وقتا طويلا في التعامل مع الكمبيوتر والانترنت بطريقة لافتة تستدعي الاهتمام، بما ينطوي عليه ذلك في كثير من الأحيان من حاجة إلى العزلة عن الآخرين خلال فترة الاستخدام، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى إشاعة حالة من العزلة الاجتماعية، وبالتالي إيجاد نوع من التفكك الاجتماعي ، خاصة في ظل انتشار أنماط جديدة من القيم والسلوكيات المستحدثة ويشير المتخصصون في هذا المجال إلى ما يطلق عليه انطوائية الكمبيوتر **Computer Phylac** وتوجد هذه الحالة عندما يستمر الشخص في الجلوس أمام الجهاز المتصل بالانترنت ساعات طويلة كل يوم وهذا طبعا مع استثناء الأشخاص الذين يستدعي عملهم ذلك، وقد توجد هذه الحالة لدى الأفراد الانعزاليين ذوي الشخصيات الانطوائية أو الأشخاص الذين يرغبون في الهروب من ظروفهم ومشكلاتهم الحياتية فيلجؤون إليها ليفرغوا فيه طاقاتهم وهمومهم ، فضلا عن الاجتهاد والتوتر النفسي الذي ينتج من ذلك الاستخدام لفترات طويلة. (العقبي، بركات 2016، ص ص 223-224)

وفي دراسة أجراها كل من (robert Kant- pittsburg) على عينة مكونة من 256 شخص لمدة سنتين بأمريكا ، تبين أن الانترنت ممثلة خاصة في شبكات التواصل الاجتماعي قلصت من دائرة علاقات الأفراد الاجتماعية القريبة والبعيدة وزادت من وحدتهم وكذا شعورهم بالإحباط ، وهذا ما جعل المفكرين يصفون المجتمعات الجديدة " بالمجتمعات الانفرادية أو " المجتمعات الكابلية " التي يتخلى كل فرد فيها بوسائله الاتصالية وينعزل عن أفراد أسرته وأصدقائه ، ويقول في هذا الصدد

المفكر الفرنسي "فيليب بروتون" إن المجتمع الجديد يمتاز بوجود اتصال دائم من جهة وانفصال من جهة فيزيائي بين الأشخاص ونهاية المقابلة المباشرة من جهة أخرى ويسمى وولتون هذه الظاهرة "بالوحدة التفاعلية" والتي من مؤشرات ارتفاع الكبير في حالات الوحدة مع الجهاز والحرص الدائم على البقاء في حالة الاتصال مع الأصدقاء الافتراضيين ، كما يرى وولتون أن "الأجهزة التقنية الحديثة لا تسهل بالضرورة إقامة العلاقات الانسانية والاجتماعية" ولذلك يجب إن لا نغتر كثيرا بهذه التكنولوجيات ، فرغم الإيجابيات والفوائد الكثيرة التي نتحصل عليها من خلال استخدامها ، إلا أنها يمكن أن تحدث تأثيرات لا يمكن التنبؤ بها ، ويضيف وولتون بان "الاتصال عن بعد لا يمكن أن يحل محل الاتصال الإنساني المباشر لأن الأشخاص مهما كانت الوسائل الاتصالية التي تربطهم يبقون في حاجة ماسة للالتقاء وجها لوجه ، وهذه الوسائل في الحقيقة لا تساهم في إزالة الشعور بالوحدة كما يظن الكثيرون لأن الاتصال اكبر بكثير من أن يختزل في مجرد تبادل كلمات فقط. (عبادة 2016، ص292)

كما يرى كل من "تومبسون Tompson، وزابوف Zaabof، و كروات Qrawat و ديماجيو Demajio وستول Stolle، أن هذا النوع من الاتصال أوجد تغيرات جذرية في حياة الناس ولعل أخطرها تلك التي عملت على تفتيت علاقاتهم الاجتماعية وحولت ما كانت تتمتع به من دفء وحميمية إلى فتور كما غيرت نمط تفاعلهم الاجتماعي وفتحت أمامهم مسار سلوكية أضرت بقيمتهم وأخلاقهم إضافة إلى تبلد حسهم الاجتماعي والوجداني ، اغترابهم النفسي ، عزلتهم الاجتماعية وانتشار قيم الاستهلاك كما أوجدت هذه الشبكات نوعا من الإدمان وهو ما جعل عالم الاجتماع المعاصر " انطوني جيدنز " يصف هذا الفضاء الافتراضي " بالعالم الهارب " كما اعتبر، إن الاتصال عبر شبكات التواصل الاجتماعي نقلنا إلى العيش في زمن ثقافي " من نوع خاص "وحدد خصائصه الاجتماعية كالتالي: (عبادة 2016، ص ص292-293)

- _ إن التحولات والتغيرات الاجتماعية والثقافية التي يتصف بها المجتمع المعاصر هي تحولات ذات قوة " نابذة وطاردة " للأفراد و ذات خصائص ثقافية مشوشة ومضطربة.
- _ الأفراد في المجتمعات التي ينتشر فيها هذا النوع من الاتصالات هم أفراد مقطوعوا الأوصال ، بسبب استغراقهم وذوبانهم في خبرات يومية مجزأة ومبعثرة وتعوزهم الرؤية الشمولية المتماسكة للحياة.
- _ يشعر الأفراد في هذا النوع من المجتمعات بالعجز وضعف المقاومة وقلة الحيلة في مواجهة العولمة وطغيانها وجبروتها.

تخلو حياة الأفراد اليومية في هذه المجتمعات من أي معنى، بسبب سيادة أنظمة اجتماعية جافة تقتصر على الحياة والديناميكية وتعمل على تفريغ حياة الأفراد اليومية من مغزاها و دلالتها الاجتماعية الحميمة.

أما فيما يتعلق بفكرة الاغتراب فقد استنتج الباحث الجزائري " ابراهيم بعزيز " في بحثه الموسوم بـ " منتديات المحادثة والدرشة الالكترونية: دراسة في دوافع الاستخدام والانعكاسات على الفرد والمجتمع " وجود علاقة مباشرة بين المدة التي يستخدم فيها الأفراد منتديات الدردشة الالكترونية ومدى شعورهم بالوحدة والعزلة عن المحيط الاجتماعي الذي يعيشون فيه ، وأرجع هذا إلى كونهم يندمجون بصفة شبه كلية في الجماعات الافتراضية ويرتبطون بأفرادهم لدرجة تجعلهم يستغنون عن الكثير من الأنشطة والاعمال التي كانوا يقومون بها في حياتهم. (عبادة، 2016، ص 292-293)

فالإفراط في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي بكثرة سوف ينعكس على السلوك الإنساني وعلاقاته الاجتماعية والذي يؤثر بشكل كبير على الأسرة التي ينتهي إليها الفرد وأن الأسرة في مجتمعاتنا تتعرض لمجموعة من العوامل ذات التأثير السلبي على أبنائها، فمواقع التواصل الاجتماعي مثل: الفيس بوك والتويتر أصبحت مصدر تهديد لبناء الأسرة فقد أدت هذه المواقع الى تفكك العلاقات الأسرية حيث فقدت من خلالها هذه الأخيرة تماسكها. (زندي ، 2017، ص 154-142)

ان ثورة الاتصال والتواصل والفضاء الذي تتيحه شبكات التواصل ليس مجرد مسألة تقنية إنه ثورة على الوعي والسلوك والعلاقات، لهذا فهو ظاهرة جديدة وعميقة تحتاج لنقاش علمي لإدراك أبعادها وتأثيراتها، مما يستدعي من المختصين في علم الاجتماع وعلم النفس إبلائها الجهد اللازم لدراسة دورها ووظيفتها وآثارها وإخضاعها للبحث السوسيولوجي العلمي ارتباطا بخصوصية كل مجتمع، وذلك من أجل مراكمة الوعي في كيفية التعامل معها بأعلى قدر من الفاعلية والإيجابية . فشبكات التواصل الاجتماعي ليست فقط مجرد مساحة للتعبير وتبادل التعليقات أو لنشر منتج أدبي أو ثقافي أو بحثي بل هي عملية اجتماعية نفسية ثقافية وسلوكية شديدة التعقيد، بحيث أصبحت تلقي بآثارها على كامل مناحي الحياة وتعيد تشكيلها وبنائها من جديد، لقد حطمت هذه الظاهرة الحدود والخصوصيات وتجاوزت القيود والمحرمات على أكثر من مستوى وصعيد، بل وأصبحت قوة تنظيم سياسي واجتماعي سواء باتجاه إيجابي أو سلبي، كما أصبحت تلعب دورا أساسيا في صياغة الرأي العام.

لقد حطمت ثورة الاتصال وشبكات التواصل الحدود سواء بين المجتمعات المختلفة أو داخل المجتمع الواحد أو حتى داخل الأسرة الواحدة وربما داخل الفرد ذاته، وهي بقدر ما كسرت الحدود

وكشفت الخصوصية إلا أنها في ذات الوقت أصبحت قوة تبني حدودا ووعيا جديدا بين الأفراد ومحيطهم الاجتماعي القريب والبعيد. (نصار.2016، <http://hadfnews.ps/post/19988>)

في غمرة الانفعال والتفاعل والانفتاح اللامحدود تكسرت قيود وقيم ونواظم، كما توفرت مساحات وفضاء لا محدود لتواصل الأفراد والجماعات بحيث لم تعد أساليب التربية والتوجيه والسيطرة التقليدية المعنوية أو القانونية كافية أو قادرة على ضبط إيقاع التحولات وما يترتب عليها من آثار وبني ذهنية وسلوكية واجتماعية وقيمة ويمكن أن نستشف أبرز معالمها فيما يلي :

(نصار.2016، <http://hadfnews.ps/post/19988>)

• اللغة :

بمعنى، أن تأثير شبكات التواصل أصبح يتخطى كثيرا مسألة العلاقات العادية والتواصل بين الأفراد ليטال وفي العمق اللغة وطريقة التفكير والسلوك، فاللغة مثلا تتعرض الآن لتحولات تطال بنائها وتشكيلاتها ودورها، حيث فرضت شبكات التواصل لغتها ومفاهيمها ورموزها الخاصة سواء كتعايير لغوية أو كأشكال تعبيرية، فلم يعد الإنسان مثلا بحاجة لوصف حزنه أو فرحه أو غضبه أو مشاعره الخاصة جدا تجاه حدث شخصي جدا بكلماته وطريقته ولغته الخاصة، إذ يكفي أن يضغط على رمز "أيقونة" ليعبر عن الحالة، هكذا أصبح التعبير عن الحزن أو الفرح أو الغضب أو الحب يجري باستخدام الرموز ودلالاتها المقررة مسبقا، أي الأيقونات التي توفرها إدارة شبكات التواصل، إننا أمام عملية تنميط في التعبير عن المشاعر بصورة جماعية هكذا تراجعت أو انزاحت خصوصية النص أو التعبير الجسدي المباشر أمام اجتياح الرمز النمطي العام .

• الصداقة :

الأخطر من ذلك هو إعادة إنتاج المفاهيم الاجتماعية، ولكن وفق مضامين وتجليات جديدة، ووفق ركائز وقيم وفهم مختلف، مثلا مفهوم الصداقة: في غمرة" الصداقات "التي تتشكل هكذا على صفحات التواصل يكفي إرسال طلب صداقة واستجابة، وأصبح هذا المفهوم يحمل معان مختلفة، حيث اهتزت ركائز المفهوم وتعبيراته الواقعية التي انبنت بالتجربة والممارسة والمعايشة في سياقات الحياة اليومية ، لتصبح مجرد أفكار ومشاعر وكلمات يتم تبادلها على صفحات التواصل بين أفراد، في الغالب العام، لا يعرفون بعضهم مطلقا، بل وكثيرا لا يتحدثون ذات اللغة، كما لا يعرفون سياقات بعضهم الاجتماعية أو الفكرية أو الثقافية، فقط يجري اعتماد علاقة الصداقة المفترضة بالاستناد السريع إلى ما يقدمه الإنسان عن نفسه وبالطريقة التي يريد .هذه الحقيقة التي فرضتها ثقافة شبكات التواصل تترك تأثيرات نفسية واجتماعية وسلوكية عميقة جدا، حيث أصبح الإنسان وبسهولة

يستبدل أو يتخلى عن صديق واقعي تماما بما له وعليه من أجل " صديق افتراضي تماما " لا يعرفه ولم يختبره هو فقط يعتمد على المخيال وعلى الأحاديث المجردة.

ان علاقات الصداقة الواقعية والطبيعية التي تتكون في سياقات التماس والتفاعل والاختبار المباشر يتم استبدالها بوهم الصداقة من خلال الاكتفاء بإرسال إعجاب أو طلب صداقة، ليقول الفرد أن له " صديقا " دون أن يعرف حتى سمات وحقيقة ومواقف وخلفيات هذا " الصديق "، والأهم أنه لم يختبر تلك الصداقة في الواقع، هذه العملية ليست مجرد إزاحة شكلية بل هي إزاحة في الوعي العام و في العلاقات باتجاه السطحية، ذلك لأن هذا النمط من علاقات " الصداقة " تفتقد للعمق والملموس والتجربة وتكتفي بالمجاملات الافتراضية وهذا يؤسس لاحقا لحالة الصدمة أو الانتكاس حين تتعرض هذه " الصداقة المفترضة " للاختبار ، حين يكتشف الفرد بالممارسة أن هناك مسافة بين هذا النمط من الصداقة وبين التوقعات المبنية تاريخيا واجتماعيا على الممارسة والتجربة إذ يكفي خلاف أو تناقض حول مسألة معينة لتنهيار العلاقة الافتراضية.

*المشاعر العاطفية:

ذات الشيء يمكن قوله بخصوص ما ينشأ ويتشكل أو ينتج من علاقات أو مشاعر " عاطفية " على شبكات التواصل، هذه ظاهرة تستحق الدراسة العميقة لأن آثارها وما يترتب عليها من توقعات وخيارات تؤدي لنتائج اجتماعية ونفسية بعيدة المدى.

فغالبية هذا النمط من العواطف التي يجري بناؤها والتعبير عنها على صفحات التواصل الاجتماعي هي أيضا عواطف افتراضية. أو لنقل عواطف لم تخضع ولم تمر في اختبارات واقعية وحقيقية، إنها تتشكل بناء على تصورات وعلى مخيال ليس له علاقة بحقيقة كل فرد كما هي: وعيه، ثقافته، سلوكه، سماته الشخصية. وغير ذلك من تفاصيل مهمة، فشبكات التواصل الاجتماعي تبيع للفرد أن يقدم نفسه بتلك الصورة المثالية التي يريدها، مما يخلق توقعات ورهانات ووهم عاطفي يقود في الغالب إلى صدمة عاطفية حين تتكشف الحقائق والتفاصيل، وخاصة حين تنتقل العلاقة من الافتراضي إلى الواقع في بعض الحالات، حيث تنفجر التناقضات العميقة التي تعبر عن الخلافات في مستويات وحقول كثيرة لا تستطيع عواطف الأفراد المفترضة أن تصمد أمامها، ذلك لأن بناء العواطف على شبكات التواصل يشبه بناء صورة رومانسية متخيلة للشريك وليس كما هو في واقع الحياة الملموس. هذه الظاهرة في بعض أبعادها تعبر عن نوع من الهروب من القيود والضوابط المفروضة اجتماعيا. باتجاه البحث عن تعويض أو إشباع نفسي عاطفي كحماية والتفاف على الكبت والانغلاق والقيود التي تفرضها العلاقات الاجتماعية في مجتمعات تفتقد للحرية الاجتماعية والعاطفية.

ان وهم العلاقات والعواطف على صفحات التواصل الاجتماعي تؤسس لعملية تفكيك اجتماعي عميقة، انفصال عن الواقع والتناقض مع البنى من خلال الرهان على علاقات مثالية ونموذجية تقدمها ثقافة شبكات التواصل، مما يقود لانعكاسات نفسية واجتماعية عند اكتشاف المسافة الشاسعة ما بين المتخيل والافتراضي والواقعي الملموس.

• قيم الاحترام :

في هذا السياق تأتي أيضا عملية أو ظاهرة تفريغ قيم الاحترام الشخصي والإنساني من مضامينه أو هي ممارسة أصبحت تجري تلقائيا وعفويا في ضوء ما توفره شبكات التواصل والتكنولوجيا من إمكانات التواصل في الزمان والمكان، ويشمل ذلك حرية التدخل والتعليق لمن يشاء وعلى ما يشاء وبالطريقة التي يشاء وفي الوقت الذي يشاء، سواء كان يعرف أو لا يعرف الشخص، وسواء كان يعرف أو لا يعرف في الحقل أو الموضوع قيد النقاش، نلاحظ ذلك من خلال التناول الشخصي والشتائم وعدم الانضباط لأي من القيم التي كانت تفرضها المعرفة الشخصية والتواصل الحسي والحوار المباشر يساعد في ذلك استخدام الأسماء الوهمية على شبكات التواصل بحيث لم يعد بمقدور الإنسان أن يعرف مع من يتم النقاش وممن يأتي هذا التعليق أو ذاك .

هذه العملية تنتقل برد الفعل من مستوى الدقة والاحترام للأشخاص وآرائهم التي تفرضها المعرفة والتواصل المباشر وما يرتبط بذلك من منظومات سلوكية إلى ردود فعل لا تقيم وزنا لللياقة الاجتماعية ففي ظل علاقات غير مباشرة وافتراضية يشعر الإنسان أنه لم يعد مقيدا بتلك النواظم وخاصة من قبل الأجيال الشابة التي لا تمتلك الوعي والخبرة على هذا الصعيد، فيما أن الإنسان على شبكات التواصل الاجتماعي لا يعرف الآخر ولا يواجهه مباشرة ولا يستشعر ردود فعله ولغة جسده وصوته فإنه يصبح متحررا من النواظم وبهذا فهو يستخدم الحرية المتاحة بدون قيود، فيشتد ويغضب ويتناول ويقول بدون أي رادع أو مرجعية، بمعنى أنه يستخدم جراته الافتراضية في مواجهة جمهور افتراضي وبذلك يشعر أنه متحرر من أية قيود بما في ذلك قيم الاحترام .

بل وتصل عملية ضرب قيم الاحترام حتى في العلاقات المباشرة إذ يحدث كثيرا أن تلتقي مجموعة من الأصدقاء أو العائلة أو في لقاء، فيبدو الكل مشغولا بهاتفه النقال وكأن العلاقة الجارية على شبكة التواصل أهم من الحضور الفعلي والتفاعل المباشر .

• التحشيد الغريزي ووحدة المجتمع:

ما تقدم هو بعض الظواهر والآثار ولكن هناك ظاهرة لها تأثيرات جماعية أكثر شمولية وتتمثل فيما توفره شبكة التواصل من إمكانية للتحشيد والتحريك الاجتماعي الغريزي حول موقف أو حادث ما، حيث تتحول شبكات التواصل إلى ما يشبه الميدان الذي تتحرك فيه القطعان فيتم تحريكها

وتوجيهها في كثير من الأحيان من قبل قوى خفية منظمة ولأهداف في غاية الخطورة. إذ يكفي مثلاً إطلاق إشاعة أو تبني موقف ما تجاه حادثة عادية جداً دون توضيح سياقاتها وملابسائها حتى تنفلت الجموع من عقالها، فتبدأ بالتحشيد والتحريض الذي عادة ما يستخدم الوعي الجمعي والذاكرة لكي ينجح في توجيه حركة "القطيع". "كاستخدام الدين مثلاً، الطائفة، الأصل الاثني وغير ذلك من محفزات فطرية أو غريزية، كما تكمن خطورة هذه الظاهرة حين يتم الاشتغال عليها وتوظيفها من قبل قوى خارجية مناهضة للشعب أو الأمة أو المجتمع، حيث تقوم تلك القوى، التي تكون قد أخضعت مسبقاً المجتمع للدراسة بهدف معرفة تناقضاته وخصوصياته وتميزاته، بتوجيه النقاشات من أجل تغذية الخلافات والتناقضات الثانوية وإطلاق ديناميات الصراع والتفكيك الذاتي، ما يقود إلى ضرب مفهوم الوحدة والنسيج الاجتماعي والوطني يحدث هذا حين يتم وضع الخصوصيات والجزئيات الاجتماعية والدينية والثقافية والفئوية والسياسية في مواجهة تناحرية مع ركائز الانتماء الوطني والهوية الجامعة. كما أكد مختصون أنّ وسائل التواصل الاجتماعي أثّرت بشكل سلبي في التواصل الأسري والاجتماعي وعلى العلاقات الإنسانية، إلى جانب تأثيرها في مهارات التواصل المباشر لدى كثير من أفراد المجتمع، موضحين أنّ بعض الدراسات أشارت إلى أنّ الاستغراق في استخدام هذه الوسائل يُضعف العلاقات الاجتماعية ويُقلل من التفاعل الاجتماعي في محيط الأسرة، وذلك من خلال قلة الزيارات واللقاءات العائلية، مُشيرين إلى أنّها تزيد أيضاً من الاغتراب النفسي بين الشباب ومجتمعهم، إلى جانب تأثيرها سلباً في مهارات التواصل الاجتماعي، ما قد يُسبب عزله اجتماعية، وكذلك سماحها باستيراد نماذج من السلوك لا تتفق مع ثقافة المجتمع الدينية والاجتماعية، حيث فسحت المجال لبناء علاقات بين الجنسين بما يتعارض مع قيم المجتمع ومعاييرهِ. فالتقنية الحديثة اختطفت هذا الوقت من واقعنا الأسري والاجتماعي والعلاقات الإنسانية من أجل التركيز المفرط على هذه الوسائل، وبالتالي ضعفت العلاقات الاجتماعية والأسرية بشكل عام، كما ضعفت معها مهارات التواصل الاجتماعي المباشر عند كثير من الناس نتيجة للإشباع التي تحققها هذه الوسائل، موضحاً أنّ هذه هي إحدى الإشكالات التي تواجه المجتمعات بشكل عام في التعاطي، مُبيناً أنّ هذه الوسائل أسقطت نظرية حارس البوابة (الحيدري، 2015، /1037242، <http://www.alriyadh.com>)

إن وسائل التواصل الاجتماعي لعبت دوراً كبيراً في تكوين العلاقة الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة والمجتمع الواحد، وأصبح أفراد العائلة لا يجدون ما يجمعهم في البيت الواحد، لأن الكل له اهتماماته الخاصة التي يتابعها من خلال وسائل التواصل الاجتماعي أو وسائل الإعلام الأخرى مثل التلفزيون أو الإذاعة، الأمر الذي أثّر سلباً في تنشئة الأبناء داخل الأسرة فقد سلبت وسائل التواصل الاجتماعي الحوار الأسري الجماعي وجعلت أفرادهم منكمين كل حسب هواه.

إن استخدام مواقع التواصل الاجتماعي يعزز الرغبة والميل للوحدة والعزلة للمراهقين والشباب مما يقلل من فرص التفاعل والنمو الاجتماعي والانفعالي الصحي الذي لا يقل أهمية عن النمو المعرفي وحب الاستطلاع والاستكشاف، وأن بعض الدراسات تشير إلى أن استخدام شبكات التواصل الاجتماعي يعرض الأطفال والمراهقين إلى مواد ومعلومات خيالية وغير واقعية مما يعيق تفكيرهم وتكيفهم وينمي بعض الأفكار غير العقلانية، وخصوصاً ما يتصل منها بنمط العلاقات الشخصية وأنماط الحياة والعادات والتقاليد السائدة في المجتمعات الأخرى.

فدخول الإنترنت مجالات الحياة الواسعة أصبح عاملاً مساعداً في تقوية الفجوة بين الأجيال فيما يتعلق بثقافة الحوسبة والاتصال مع العالم الخارجي، بل إن الكثير من الناس الذين لا يتمتعون بميزة استخدام الإنترنت أصبحوا عرضة للاتهام بالتخلف والغباء، مما يساعد على تطوير نموذج من الصراع الاجتماعي والثقافي بين الأجيال أو شرائح المجتمع أو بين الصغار والكبار أو الأبناء والآباء .

خلاصة :

ان شبكات التواصل الاجتماعي وثورة الاتصالات باتت ظاهرة إنسانية موضوعية لا يمكن إلغاؤها وهي ظاهرة تعيد تشكيل الوعي والعلاقات وفق مضامين وممارسة جديدة، وهي بقدر ما تشكل ثورة معرفية إيجابية في التجربة الإنسانية فإنها مثلها مثل أي تطور علمي لها تأثيرات جانبية سلبية، هذا يستدعي من مؤسسات المجتمع السياسية والمنظمات الأهلية والمثقفين والإعلاميين والباحثين الاجتماعيين وعلماء النفس والتربية وغيرهم الوقوف أمام هذه الظاهرة ودراسة تأثيراتها في مختلف مناحي الحياة والواقع الاجتماعي وجعلها عنواناً وموضوعاً دائماً للبحث والنقاش بهدف تأسيس وعي اجتماعي عام لمواجهة أثارها ومخاطرها الكبرى، وأن يجري التخطيط لكي تكون هذه العملية علمية ومستمرة وخاصة على صعيد تأثيراتها على فئة الشباب، وذلك بهدف بناء وعي وقناعة اجتماعية حول كيفية الاستفادة القصوى من الإمكانيات التي توفرها هذه الثورة العلمية المعرفية، وفي ذات الوقت تحييد أثارها السلبية .

المراجع:

- 1- الزيود ، ماجد. (2006). الشبكات والقيم في عالم متغير. ط1. دار الشروق للنشر والتوزيع. عمان . الأردن.
- 2- السيد عبد القادر، سلوى. (2010). الأنثروبولوجيا والقيم. دار المعرفة الجامعية. مصر.
- 3- بوطوب، فيصل. (2017) "الأسرة والقيم- مقارنة سوسيولوجية لمسألة تغير القيم في الأسرة الجزائرية". مجلة آفاق فكرية. جامعة الجزائر: 6: 30-11

- 4- جرجس، ملاك. (1990). المشاكل النفسية للطفل وطرق علاجها، دار المعارف. القاهرة. مصر.
- 5- منتصر الكتاني، فاطمة. (2000). الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بمخاوف الذات يدار الشروق للنشر والتوزيع. عمان. الأردن.
- 6- يوسف، حسن. (2006). دور التربية الأسرية في بناء منظومة القيم الاجتماعية دراسة ميدانية في محافظة اللاذقية، رسالة ماجستير منشورة، كلية التربية بجامعة دمشق. سوريا.
- 7- العقبي، الازهر. بركات، نوال. (2016) "نمط العلاقات الاجتماعية في ضل استخدام مواقع التواصل الاجتماعي، بين الحقيقي والافتراضي"، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، جامعة بسكرة: 19: 221-252
- 8- عبادة، نور الهدى. (2016). "شبكات التواصل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية: الفرص والتحديات". مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية. جامعة ورقلة: 26: 287-294
- 9- زندي، يمينة. (2017) "مواقع التواصل الاجتماعي وعلاقتها بظهور العزلة الاجتماعية لدى الشباب، دراسة ميدانية على عينة من الشباب". مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية. جامعة الجزائر: 142: 10-154
- 10- نصار، إبراهيم. (2016). مواقع التواصل الاجتماعي: العلاقات والقيم الاجتماعية بين الافتراضي والواقعي! <http://hadrnews.ps/post/19988>
- 11- الحيدري، منى. (2015). وسائل التواصل الاجتماعي، علاقاتنا الأسرية في خطر! جريدة الرياض. العدد 17089 ليوم 8 أفريل / 1037242 <http://www.alriyadh.com>